

الصحافة الاستعمارية للشرق الجزائري و مجازر 08 ماي 1945

عبد السلام عكاش

جامعة الجزائر

كلمة ترحيبية

بداية نرحب بالسادة الحضور ونقول لهم السلام عليكم. و قبل أن أبدأ في عرض محتوى المداخلة حول الموضوع الذي طلب مني تقديمه، بودي أن أقدم جزيل شكري وامتناني إلى كل المشرفين على إنجاح هذا الملتقى التاريخي، وما أحوجنا للإلتفات إلى الوراء في مسيرتنا نحو الأمام، حتى نستفيد من الماضي لفهم الحاضر وبناء المستقبل. وأخص بالشكر المسؤولين على جامعة قلمة، لهذه الفرصة التي منحوها لي لأقدم هذا العرض.

اشكالية المداخلة:

من الإشكاليات التي لا تزال تثير الكثير من الجدل الأكاديمي والسياسي بين ضفتي البحر المتوسط الشمالية (فرنسا) والجنوبية (الجزائر والشعوب المستعمرة)، مسألة تقييم الإرث الاستعماري، ويبدو أن من أهم محطات هذه الجدلية النظرة إلى حقيقة ما حدث في الثامن ماي 1945. مناطق عديدة من الشرق الجزائري.

فكيف ننظر إلى ما يسمى في فرنسا بأحداث أو مظاهرات الشمال القسنطيني. وفي الجزائر بالمجزرة الاستعمارية لـ 8 ماي 1945؟

ذلك أن المحرم لدينا والمتمثل في أعوان الإدارة الاستعمارية (كالجنرال دوفال والوالي لستراد كاربونيل والعقيد بورديلة وأشياري وغيرهم) هو برئ تحمل مسؤوليته كاملة وتصرف كما يليق في تصور الاستعماريين.

والضحية لدينا وهو الشعب الجزائري، يعد مجرماً لدى الطرف الاستعماري. يجب معاقبته. بمنتهى القسوة.

موضوع مداخلتي سيتناول جانب من جوانب هذه الجدلية، بحيث سأعرض نظرة الصحافة الاستعمارية لانتفاضة الثامن ماي. ولن أقدم سرداً للأحداث من خلال الصحف، مع أن تاريخنا وتاريخ الانتفاضة لا يزار بحاجة إلى السرد خاصة بأقلام جزائرية وباللغة العربية. ولكن أقدم مقارنة لتحليل المضمون ودراسة المحتوى لهذه الصحافة. ويتضمن العرض:

- مدخل عام يتضمن تعريف الصحافة الاستعمارية ومواقفها.
- دراسة شكل المادة الإعلامية.
- دراسة لغة وأسلوب وصف الأحداث.
- تحليل اتجاه الخطاب الصحفي الاستعماري.
- وأخيراً القيم التي دعت إليها الصحف الاستعمارية.

نتساءل كيف تعرضت الصحافة الاستعمارية للأحداث، هل لعبت دوراً إخبارياً أي النقل الأمين للأحداث، لتكوين رأي صائب حول موضوع الانتفاضة وتداعياتها، أم أنها تحولت إلى بوق لبث الدعاية الاستعمارية المغرضة والمنحازة للمعمرين والمتحاملة على الجزائريين؟

(1) لمحة حول الصحافة الاستعمارية:

تميزت الصحافة الاستعمارية في الجزائر بجملة من الخصائص، التي ميزتها عن الصحافة المترو بولية بفرنسا و الصحافة الوطنية بالجزائر. فقد كانت بمثابة لسان حال المعمرين و المدافع عن مصالحهم، و المعبر عن مطالبهم و المترجم لمواقفهم، كانت صحافة استعمارية قلباً و قالباً، فهي تصدر عن المعمرين الذين يديرونها و يحررونها⁽¹⁾، وتوجه لجمهور قراء من المجتمع الاستعماري، وكانت تكتب بلغتهم، و تعبّر عن آمالهم و تطلعاتهم، و ردود فعلهم المختلفة.

كانت هذه الصحافة بمثابة عامل جامع لمختلف العناصر الأوروبية المتباينة الأصول، و البعيدة عن المتروبول. وبذلك ساهمت في انصهار و اندماج العناصر الأوروبية في فئة واحدة، تجمعها مصالح مشتركة⁽²⁾.

كانت تعشق أسماء جزائرية محلية مثل: " المبشر"، " الأخبار"، سيبوس Sybouse، صفصاف (Safsaf واد في سكيكدة)، صدى الحراكة (Echo Hrakta)، قبيلة في عين البيضاء)، التافنة (Tafna تلمسان) الأوراس (Aurès خنشلة) صدى الصحراء (Echo du Sahara باتنة)، القبائل (Kabylie بجاية)، الأطلس Atlas (البلدية)، ومع ذلك فمحتواها لم يهتم بالجزائريين... وبعضها يحمل توجهات سياسية، و مصالح اقتصادية مثل: النهضة السطيفية (Progrès) Sétifien، واليقظة الجيجلية (Eveil Djidjlien)، العمر الصغير (Petit colon)، الراديكالي (Radical)، الجمهوري (Républicain)، المستقل (Indépendant)، معاداة اليهود (Anti-juif)، الديمقراطي (Démocratie) ... و سجلت مواقف شجاعة و جرئية حيال السلطة، و كل من يهدد مصالح الأقلية الأوربية وذلك من خلال كونها:

- صارعت سلطة العسكرين قبل 1870.
- طالبت بالاستقلال خلال نهاية القرن 19.
- شنت حملة ضد اليهود خلال نهاية القرن 19.
- عرقلت تطبيق مختلف المشاريع الإصلاحية في المملكة العربية في عهد نابوليون الثالث، إصلاحات كليمنصو 1919 و مشروع بلوم فيلوليت 1936 – أمرية ديغول 1944...

وكانت الصحف الاستعمارية الكبرى المهيمنة على الساحة الصحفية، بمثابة تروستات استثمارية، ذات أغراض اقتصادية و سياسية، لذلك خضعت لتأثير أصحاب المصالح داخل المجتمع الاستعماري، أمثال "بول كيطلوي"، و "روفول فيري"، و "ماك روكار"، و "أوجين فالي" و "مارك ماتريك"، و "ألين دوسيرقني"، و غيرهم من أصحاب المال و تجار السياسة.

إن بعض هؤلاء مستهم الأحداث، وبالتالي لم يعودوا كتلة هامة أمام التهديد الذي تمثله الانتفاضة، التي انفجرت من بينهم، واستهدفت وجودهم ومصالحهم. لذلك يمكن أن نقول أن الإعلام الاستعماري كان يعبر عن نظرة المعمرين عموماً، وأصحاب المصالح والنفوذ، والتأثير داخل الوسط الاستعماري خصوصاً. ولم تهم بالعنصر الجزائري (الأهالي)، واحتقرت وجوده، تبعاً للعقيلة الاستعمارية الاستعلائية العنصرية، وتصورت أن أحسن أسلوب لحكمه هو القمع من خلال قانون الأهالي والمحاكم الرادعة...

و أبدت معارضتها وعداؤها، نحو الثورات الوطنية الأحزاب والجمعيات السياسية الوطنية، نظراً لمواقفها المعارضة للاستعمار ونظامه.

2) المصادر التي اعتمدت عليها الصحف الاستعمارية:

نشير إلى أن الصحف الفرنسية كانت خاضعة لقوانين مراقبة الصحافة، التي تفرض عقوبات على الصحف التي تنشر أخبار لم يسرح بها قانوناً، خاصة أخبار الأمن والجيش والحرب. لذلك تعاملت الصحف الاستعمارية مع الأحداث بنوع من الحذر. وتتمثل أهم المصادر الإخبارية التي اعتمدت عليها الصحف الاستعمارية في:

- وكالة فرنسا للأخبار: التي عبّرت عن وجهة النظر الرسمية لحكومة الجنرال "ديغول"، ومثلت الأخبار التي قلمتها الوكالة النسبة الأكبر ضمن مجموع الأخبار، التي نشرتها الصحف الاستعمارية.
- وزارة الداخلية: نشرت الكثير من البيانات الرسمية باسم الوزارة التي كانت تحت قيادة "أدريان تكسييه"، الذي قام بزيارة تفقدية لمناطق الاضطرابات، وألقى خطابات إذاعية نشرتها الصحف، كما كانت له تدخلات أمام الجمعية الاستشارية، وبالتالي كان يتكلم باسم الحكومة الفرنسية.
- السلطات الاستعمارية في الجزائر: وتتمثل في ردود فعل الحكومة العامة، التي كانت تحت رئاسة الاشتراكي "إيف شاطينو" فمنذ اندلاع الأحداث الأولى نشرت الصحف الاستعمارية بيانات ومراسلات حول الأحداث.

- إرسال مبعوثين ومراسلين صحفيين إلى مناطق الأحداث: رغم حالة الحصار والحرب التي فرضت على مناطق الانتفاضة، إلا أن بعض الصحف مثل: "يومية" "آخر المستجندات" تمكنت من إرسال مبعوثين إلى مناطق الاضطرابات، وفيما كانت بعض الصحف، خاصة جرائد عمالة قسنطينة كشهود عيان، و بالخصوص صحف المدن، التي كانت مسرحاً للأحداث، مثل سطيف وقلمة، كصحفتي "السطايفي الصغير" و "وصدى قلمة".
- إعادة نشر ما كتبه الصحف حول الأحداث، فصحف عمالة الجزائر وهران، أحياناً تعيد ما نشرته "برقية قسنطينة"، وهذه الأخيرة أحياناً تعيد نشر ما كتبه صحف محلية، مثل "السطايفي الصغير"، وفيما تقدم أحياناً "مجلة الصحافة".
- **ملاحظة:**

إن مختلف المصادر الإخبارية التي اعتمدت عليها الصحف الاستعمارية كلها فرنسية، وهذا ما يدلُّ على هيمنة، وجهة النظر الفرنسية، لذلك فإن المصالح الاستعمارية تمكنت من تمرير رسالتها الإعلامية، لاحتكارها لساحة الأحداث والإعلام.

و إن نوعية التقارير الإخبارية، مرتبطة أساساً بنوعية المصدر والمعلومة المتوفرة، ولهذا كان ينتظر من الصحف ومراسليها تنويع مصادرها الإخبارية، وتجنب الاعتماد على مصدر منفرد، لأن نتيجة ذلك كله هو التغليب الإعلامي. وكل ذلك سينعكس على شكل ومضمون واتجاه المادة الإعلامية، الخاصة بأحداث 8 ماي 1945، التي قامت بعرضها في أعمدها.

وحتى الصحف الأجنبية وقعت في أغاليط مصادر الأخبار الفرنسية، بحيث أعادت نشر ما أوردته وكالة الأنباء الفرنسية⁽³⁾، ولم يتمكن الصحفيين الأجانب من الدخول إلى مناطق الانتفاضة، ونفس التغليب حدث بالنسبة للصحف اليسارية⁽⁴⁾.

(3) دراسة المساحة الحجمية لثلاث صحف استعمارية:

يعبر تخصيص الصحف، لحجم كبير لحدث معين، عن درجة اهتمامها به، كما أن إعراضها عن الحديث حول الحدث، أو تخصيص نصيب قليل له يدل على تجاهله وتناسيه واعتباره لا حدث، لذلك لمعرفة مدى اهتمام الصحف الاستعمارية بالأحداث، نقوم في هذا الجزء بدراسة شكل المادة الصحفية الخاصة بالأحداث من خلال ثلاث صحف نموذجية وهي:

- برقية قسنطينية (Dépêche de Constantine)
- البرقية الجزائرية (Dépêche Algérienne)
- صدى وهران (Echo d'Oran).
- الشكل(1): أعمدة تكرارية لنسب، المادة الإعلامية الخاصة بالأحداث لثلاث صحف استعمارية.

معدل الأشهر الثلاث الأولى.

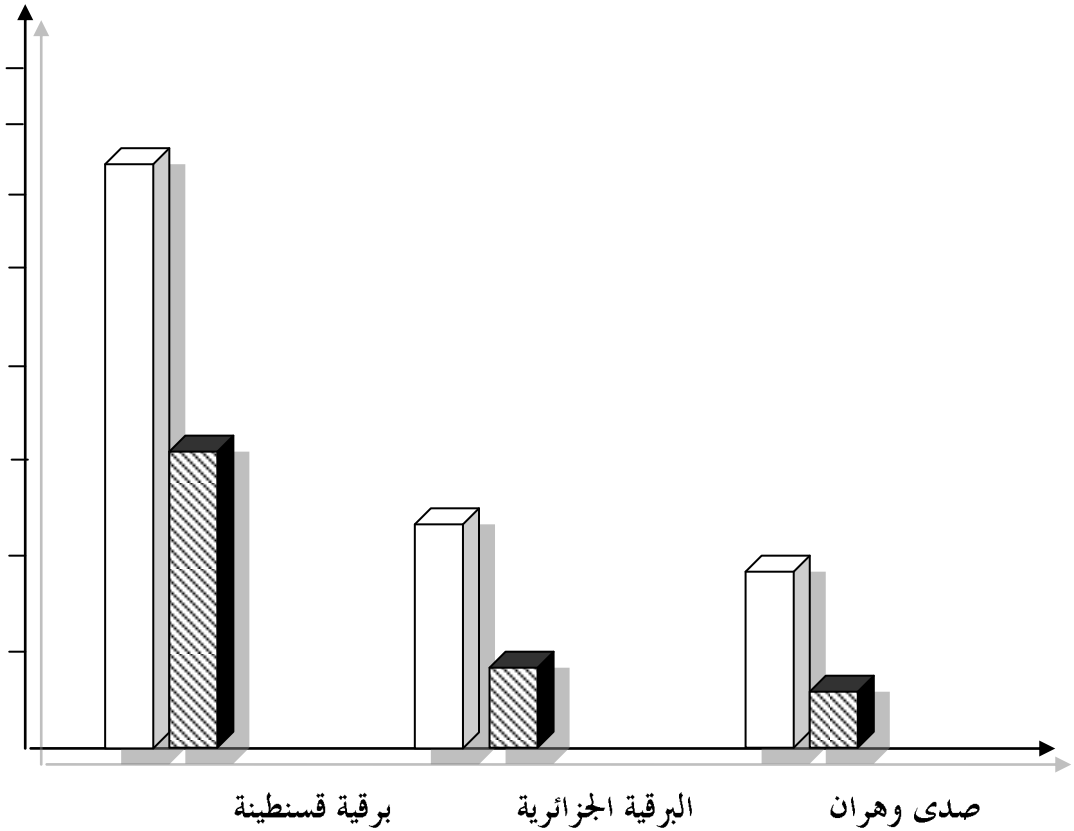


المعدل السنوي النسبة %.



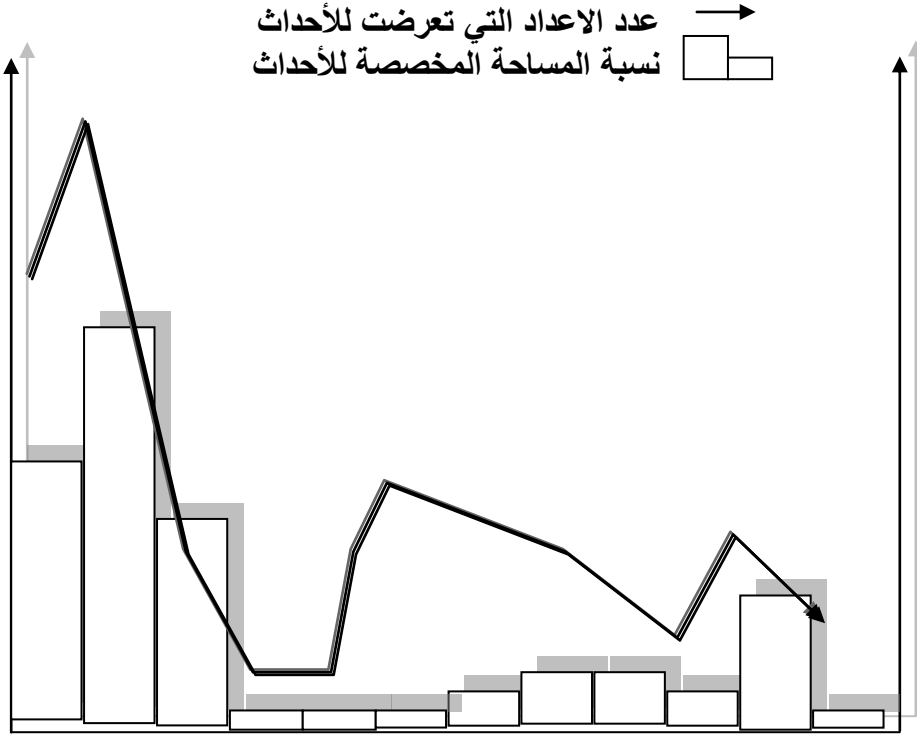
1 سم = 1 %.

1 سم = المعدل.



تبرز لنا الأعمدة البيانية اختلاف اهتمام الصحف الاستعمارية بالأحداث، ويظهر جلياً كيف أن المساحة الحجمية المخصصة من قبل برقية قسنطينة تفوق مجموع المساحة المخصصة من قبل البرقية الجزائرية وصدى وهران، وهذا يفسّر كون "برقية قسنطينة" كانت تسمى بصحيفة المقاطعة القسنطينية (journal de la province de constantine)، وأن مادتها موجهة أساساً لقراء من الشرق الجزائري.

الشكل(2): شكل بياني لتطور اهتمام برقية قسنطينة بالأحداث من ماي 45 إلى أفريل 46.



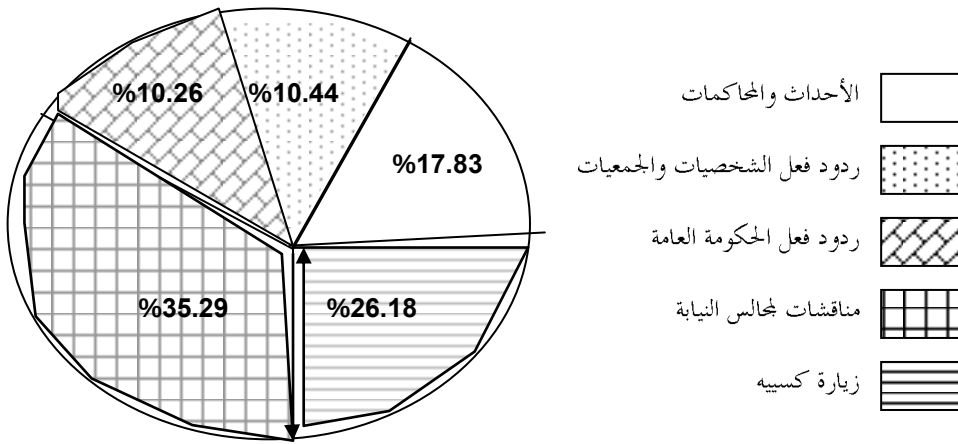
أفريل مارس فيفري جانفي 46 ديسمبر نوفمبر أكتوبر سبتمبر أوت جويلية جوان ماي 45

يوضح الشكل أعلاه ظاهرتين متكاملتين، بحيث يبين المنحنى عدد الأعداد التي تعرضت للانتفاضة، والمدرج النسبة المخصصة للأحداث من قبل صحيفة " برقية قسنطينة "، وذلك بداية من ماي 1945 إلى أفريل 1946.

ويلاحظ أن اهتمام الصحيفة بالأحداث كان كبيراً خلال الأشهر الثلاث الأولى، وبعدها تراجع المؤشر، وفي نهاية 1945 وبداية 1946 ارتفع المؤشر بشكل طفيف، وهذا لأن الصحيفة كانت تنشر أشغال جلسات محاكمة معتقلي انتفاضة 8 ماي بالمحكمة العسكرية

بقسنطينة، وفي بداية 1946 أثّرت في البرلمان الفرنسي مناقشات حول قانون العفو، و حول ضحايا ومعتقلي الثامن ماي، وبعدها لم تعد تتعرض للأحداث.

الشكل(3): دائرة نسبية حول توزيع المادة الإعلامية لبرقية قسنطينة (ماي 45 - أفريل 1946).



تمثل الدائرة النسبية توزيع المادة الإعلامية للأحداث لبرقية قسنطينة، بحيث يلاحظ أن أكبر نسبة للمادة الإعلامية تمثله ردود الفعل المختلفة، والتي جاءت بالترتيب على الشكل التالي: مناقشات المجالس النيابية والمتمثلة أساساً في المندوبيات المالية، والجمعية التأسيسية وبعدها الجمعية الوطنية الفرنسية، ومثلت تلك المناقشات ما نسبته 35.29%، وتليها زيارة " تكسييه " بـ 26%، وبعدها نجد نسبة 17.83% الخاصة بالأحداث وردود الفعل، وفي الأخير نجد ردود فعل الحكومة العامة بـ 10.44% وردود فعل الجمعيات والشخصيات المختلفة بـ 10.26%.

وقد ترجمت الصحف مواقف مسيرتها السياسيين، فبرقية قسنطينة أكبر حجم حصصته، تمثل في تدخل " بول كيطولي " المدير السياسي للصحيفة، بحيث غطى خطابه الذي

ألقاه أمام الجمعية في 18 جويلية 1945 كامل الصفحة الأولى وجزء من الصفحة الثانية، بنسبة وصلت إلى 82.35% من مساحة الصحيفة.

كما قامت بتغطية مختلف نشاطات المسؤولين الاستعماريين المدنيين والعسكريين، كالزيارات ومختلف التصريحات والخطابات، إلى جانب نشرها لمراسلات عمالة قسنطينة، ودوائر سطيف وقالة، المتضمنة للإجراءات الاستثنائية المتخذة لحصر الاضطرابات وضمان أمن الأوربيين، مثل إعلان حالة الحصار ليلاً، وتقييد ومراقبة حركة التنقل فهاراً. إلى جانب نشر ردود فعل "المجتمع المدني" كالجمعيات المختلفة، والفروع النقابية وبعض الشخصيات والأعيان، وتدخلات مختلف النواب والمنتخبين.

3) تحليل لغة وأسلوب وصف الأحداث ومسؤوليتها:

لما كانت الدعاية الإعلامية تقوم على التلاعب بالألفاظ والرموز، كوسيلة للتأثير في اتجاه الرأي العام، الذي توجه له المادة الإعلامية، فمن المهم عرض ودراسة الأسلوب ، الذي عرضت به الصحف مادتها، واللغة التي استخدمتها لتمرير رسالتها الاعلامية، لاستنتاج نظرتها للأحداث وللعناصر الفاعلة فيها. فكيف وصفت الصحف الاستعمارية الجزائريين وهم يقومون بتأثيرين على النظام الاستعماري والوجود الفرنسي؟

أ) نماذج لكلمات في وصف المعمرين:

• أوربيين	européens	• شجعان	Braves
• معمرين عزل	colons isolés	• محاصرين	assiégés
• مواطنين بسطاء جالسين	modestes	• ضحايا	victimes
• قاطنين	population habitants	• معتدى عليهم (محاصرين)	agressés
• مارين في الطرقات	passants	• مقتولين	assassinés
• يحتفلون بالنصر	fêtaient la victoire	• منكوبين	sinistrés
• أبطال	héros	• أدياء	

يظهر لنا الجدول الانحياز الواضح لوصف الأحداث من قبل الصحافة الاستعمارية لصالح المعمرين، الذين وصفوا بقيم إيجابية، فهم أبطال شجعان، مدافعين عن حياة أسرهم وأزواجهم وأبنائهم المهددين من قبل المنتفضين، فنقرأ في "برقية قسنطينة":

"المعمرون يعودون للكد في وسط الزوبعة الوحشية التي دمرتهم؛ عمال نساء قتلوا برودة، وآخرين جرحوا... يجب إحياء تلك الأحداث المشرفة، وخشونة المنتفضين وإفراطهم في القسوة" (5).

ب) نماذج لكلمات في وصف الجزائريين:

• أهالي مسلحون indigènes armés	• متوحشون sauvages
• متظاهرون manifestants	• هتلريين hitlériens
• متعصبون fanatique	• ثوار révoltes
• عنصريون racistes	• دمويون sanguins
• محرضون provocateurs	• مجرمون criminels
• عصاة متمرّدون rebellions	• معتدون agresseurs
• مشاغبون agitateurs	• اراحيون terroristes
• مهاجمون agresseurs	• قتلة Assassins
• برابرة Barbares	

وإذا كان المعمرون الأوروبيون وُصفوا بمعاني البطولة، فإن المتفضّين الجزائريين على العكس من ذلك وُصفوا بمختلف معاني التوحش والإجرام والهمجية. من خلال النماذج السابقة نلاحظ طابع أحادية أسلوب الطرح، أي طرح القضية من وجهة نظر استعمارية.

وتم وصف الأحداث بعدة نعوت مثل: حرائق (**Incendies**)، شغب دموي (**émeute**) (**sanglante**)، مجزرة (**Un carnage, génocide**)، انتفاضة (**Insurrection**)، عصيان وتمرّد (**Rebelle**)، اضطرابات (**Agitations troubles**)، اعتداءات (**agressions**) عنف (**violence**) ...

نقرأ مثلاً في برقية قسنطينة (10 ماي 1945) : عناصر ذات طابع هتلري، قدّمت نفسها لاعتداءات بأيادي مسلحة، ضد سكان كانوا يحتفلون بالنصر فعبّروا عن إرادتهم في تعكير صفو الفرحة العامة. فهذا الوصف الأولي للإحداث يترك انطباعاً بكون انتفاضة ماي و

التقتيلات الأولى للأوربيين، إنما قام بها متمردون مسلحون، وليس متظاهرون مسالمون، و مدنيون مجردون من السلاح.

(ج) نماذج لعبارات في وصف الجزائريين (الأهالي indigènes)

- العديد من القبائل البربرية (في البابور)، تقتات على الأرض، ولها عادات غليظة وتفكير بسيط، وهي إندفاعية يسهل التأثير عليها

"Dernières , nouvelles Juin 3.4.45 "

- "العرب أرواح ساذجة، فمن السهل التأثير في النفس العربية، لأنها تستجيب لكل ما يدفعها لمواجهة الأوربي، لكل من يكلمها عن العنف والمظاهرات العنيفة نظراً لطبائعها المتوارثة

"Dépêche de Constantine ,11 juillet 1945. "

- بعض الأهالي المدللين ، يأتباعهم للكسب السهل في السوق السوداء، لم يقبلوا الانكسار أمام الأعمال الفلاحية الشاقة

,Dépêche de Constantine .13 juin 1945

- العنصرية العربية التي ييشها القرآن .

Dépêche de Constantine .13 juin 45

- "مشوشين قلائل هتلريين، استخدموا طرق الدكتور " غوبلز " (وزير الدعاية النازية). قاموا بتغليط الناس " .

., Echo d'Alger 14 juin 1945

- "الحركة المتعصبة تسعى للانفصال عن الوصايا الفرنسية السخية والإنسانية".
Dépêche de Constantine,14 juin1945

• "مجموعات متوحشة، التي توحشها لا يعرف الحدود، سارت بكل عنف تنهب تحرق تخرب، لم تترك ورائها إلاّ الآلام والخراب"

Petit sétifien, 31 mai 1945.

تبين النماذج السابقة الطابع العنصري في وصف الجزائريين المنتفضين، والاثامات الواضحة الموجهة ضد الحركة الوطنية، كما نلاحظ الربط بين الانتفاضة والحركة النازية الهتلرية، ومع أن الحركة الوطنية لم تكن لها أية صلة بالنازية، ولكن الأوساط الاستعمارية أرادت استغلال الشعور المعادي للنازية وتوجيهه ضد الحركة الوطنية⁽⁶⁾.

وقد ظهرت الاتهامات الأولى للحركة الوطنية على لسان الحاكم العام "ايف شاطينو"، الذي قال: "انه من الواضح أن الاضطرابات من عمل أعضاء حزب الشعب المحطور، و الأعضاء المحليين لأحباب البيان. وعلى نفس المنوال، اقم وزير الداخلية "تكسييه" الحركة الوطنية.

ويظهر التصريح المخاوف الكامنة في نفوس الاستعماريين، وعداؤهم للحركة الوطنية، لذلك طالبوا بإصدار حكم بالاعدام على "فرحات عباس" والدكتور "سعدان" ... وادانتهم بمسؤولية الأحداث⁽⁷⁾.

وفيما ذكر "بول كيطولي"، "الأحداث من عمل أقلية محرّضة، غلّطت أغلبية السكان المسلمين، اللذين لم يتبعوها، فلم يكن هناك أثر للمجاعة، وإنما حدثت ثورة حقيقية ضد السيادة الفرنسية، و من حسن الحظ أنها صدرت عن مجموعة قليلة مشوشة، غلّطت الناس بدعايتها، فاستدعيتهم بمختلف الوسائل الكاذبة، فبعضهم استدعي لحضور حفل، و آخرين لحضور حفل توزيع الألبسة، و البعض للمشاركة في مظاهرة سلمية. إن الانتفاضة التي مسّت سطيف و بجاية و جيجل و قالمة، لم تكن إلا بداية لثورة، ذات طابع وطني معادي لفرنسا، منظمة من قبل مثقفين أهالي، انضم إليهم السكان المسلمون، في حرب مقدسة موجهة ضد العناصر الغير مسلمة، في المدن و الأرياف"⁽⁸⁾.

4) تحليل اتجاه الخطاب الصحفي الاستعماري:

إن الذي يكفي بمطالعة محتوى الصحف الاستعمارية، يتشكل لديه شعور بمشروعية قمع المنتفضين الجزائريين، وذلك ما اختزله شعار "صدى الجزائر": "إنها ساعة الدركي" (C'est l'heur du gendarme). بحيث عرضت الصحف الاستعمارية أحداث انتفاضة 8 ماي بشكل يحمل العديد من معاني التعتيم الاعلامي. وتتميز ذلك الخطاب بعدة سمات:

- التهويل وتبرير القمع.
- التضليل والتغليط، وشن حملة ضد الحركة الوطنية.
- تجاهل القمع.
- تجاهل الضحايا الجزائريين.

أ) التهويل وتبرير القمع:

إذا كان دور العنوان هو إعطاء فكرة عامة بسيطة، و مركزة عن محتوى المقال، فإن ذلك لا ينطبق دائماً مع عناوين الصحف الاستعمارية حول الأحداث، بحيث لا نجد هذا التطابق فنقرأ مثلاً في برقية قسنطينة 16 05 1945 العنوان التالي: " ثوار دواوير سطيف وقلمة، أعلنوا خضوعهم"، بينما في المحتوى نجد روبرتاجاً مطولاً، حول ما أسمته الصحيفة بتراجيديا الأحداث، ويدلُّ عدم التطابق بين العناوين والمضامين، على أن العناوين تلعب دوراً دعائياً، أكثر من كونها تقدم فكرة عامة وحقيقية عن المحتوى. ويظهر أن الصحف المحلية كانت أكثر إثارة للمخاوف، و معاني الفرع، وأنها أكثر تهويلاً للإحداث من الصحف العمالاتية والمتروبولية، فعنونت "السطايفي الصغير" في 17 ماي 1945، "انتفاضة دموية في سطيف"، رئيس المندوبية الخاصة، 28 ساكن في المدينة اغتيلوا بوحشية"، وفي عدد آخر صدر في 31 ماي 1945 عنونت: " شوفريل المدينة

الشهيدة؛ قصة الإنتفاضة الدموية، التي لا ينبغي أن ننساها"، وبنفس الشكل عنونت في 29 ماي 1945 "القصة المأسوية لسيليق".

أما "صدى قلالة 06 09 1945 فكتبت: " الهدوء عاد بعد كل الأعاصير، يجب إصلاح الخسائر المحزنة للانتفاضة، ويجب بالخصوص اتخاذ الإجراءات المناسبة، لتجنب تجددتها قدر المستطاع، حتى يعيش الاستعمار في هذه البلاد، ويظل المعمرون مرتبطون بهذه الأرض، فرغم عودتهم إلى مزارعهم، إلا أنهم لا يزالون جد بعيدين عن كونهم محميين بفعالية، فهناك أحياء ومزارع رفض سكانها العودة إليها، خوفاً من تجدد ساعات الرعب، لذلك من الضروري إبقاء قوة في تلك المناطق".

ويهدف استخدام هذا الأسلوب الترهيبى لإثارة المخاوف؛ فجاء في "السطايفي الصغير في 17 ماي 1945: "التراجيدية التي حدثت، لم تكن سوى ذكرى مرعبة بحيث تجمع الآلاف من المتفضين ودمروا مدينتنا، هاجموا وقتلوا بدون رحمة، وقاموا بارتكاب المحزنة الأكثر وحشية ... قائمة الضحايا طويلة...لقد حملنا موتانا في مدرج المستشفى المدني؛ معمرين بسطاء و موظفين عادين راحوا ضحايا، البعض جرح بشكل خطير، أجسادهم سقطت و استشهدت .. إثرها ماتم جنائزي جرى في صمت رهيب. لنبكي موتانا وشهدائنا، الذين لن تذهب تضحياتهم هباء".

ب) التضليل و التغليب:

عرضت الصحف الاستعمارية الأحداث، بكثير من معاني التضليل والتغليب لتبرير عمليات القمع، وحجب العديد من الحقائق، وتضخيم وإبراز بعض الجوانب واستغلالها لإعطاء طابع وحشي للمتفضين، ومن أمثلة ذلك:

• إعتبار الأحداث تدخل ضمن مؤامرة فاشية هتلرية. و تجاهل قضية رفع العلم

الوطني إلا في مقام واحد، وهو التعرض للمظاهرات في عناية.

• كما أنها ذكرت أن الذي أطلق النار خلال المظاهرات كان من المتظاهرين. في

حين تشير الشهادات الوطنية، إلى أن أعضاء أحباب البيان الذين نظموا المسيرة

السلمية، قاموا بتجريد المتظاهرين من الأسلحة(تصريح عبد الحميد مهري خلال الملتقى).

و فيما أكد بعض النواب الشيوعيين ذلك فصّرّح " أبولكير " (José Aboulker):
 "فجأة خلال مظاهرات المسلمين المرخصة، محافظ الشرطة " أوليفري " (Oliverlie)
 أطلق أول طلقة نارية بعدها بدأت عمليات التقتيل قادها ضد موكب المتظاهرين"⁽⁹⁾.
 وفيما ذكر "برجي": " إثر اطلاق النار تراجع المتظاهرون قليلا، لكن "أوليفري"، وعون
 من شرطة الدولة (بارس)، استخدموا الرشاشات، أطلقا النار في الهواء، ونحو المتظاهرين
 الذين تراجعوا بعد أن خلفوا ورائهم قتلى وجرحى، وإثرها بدأت الفوضى وتعالّت
 صيحات الجهاد.

كما أنها أسهبت في عرض فصول الانتفاضة، والكيفية التي قتل بها الأوربيون، و المطلع
 على الصحف الاستعمارية، يشعر بذلك الخلل في تناولها للأحداث، بحيث انتقلت مباشرة
 من عرض حيثيات الانتفاضة، ثم قدمت إشارة إلى سرعة استعادة الأمن، وبعدها صورت
 تظاهرات الإخضاع دون ان تتعرض للقمع. و رغم أن الانتفاضة لم تدم إلا ساعات
 وبعدها بدأت فصول القمع التي إستمرت لعدة أسابيع. وذلك التجاهل لا يمثل إلا تعتيماً
 إعلامياً يبين كيف أن الصحف الاستعمارية لا تنشر الحقائق بقدر ما تعبر عن رؤى
 أصحابها.

محاولة تقزيم الانتفاضة و الترويج لفكرة وفاء الجزائريين:

حاولت الأوساط الاستعمارية تقزيم الأحداث فذكر " شاطينو": بأنها أحداث مؤقتة
 ومصطنعة، أما " أدريان تكسيه " وزير الداخلية خلال تصريحه، ذكر أن المنتفضين لا
 تتجاوز نسبتهم 5% من سكان المناطق التي كانت مسرحا للأحداث، و ذلك ما يعادل
 أقل من 50000 شخص بينما صحيفة "الإنسانية (Humanité) الشيوعية 07/11 /

1945"، فرغم محاولتها تقليل عدد المنتفضين (أقلية محروضة من حزب الشعب)، ضبطت رقم 80000 شخص".

و منذ بداية الانتفاضة أكدت الصحف الاستعمارية، على نقطة استعادة الأمن، والدعوة لممارسة قمع لا شفقة فيه لمثري الاضطرابات، فعنونت "البرقية الجزائرية" في أول عدد تكتب فيه عن الأحداث: "الجيش والشرطة استعادوا الأمن"⁽¹⁰⁾. وفي اليوم الموالي عنونت وبخط غليظ: "منتفضي سطيف ستم معاقبتهم، بشكل لا رحمة فيه". والمقصود بالأمن الذي تمت استعادته هو أمن الأوربيين، بل العكس فالقمع وصل ذروته بعد تلك التواريخ. كما روجت الصحف الاستعمارية، لفكرة خضوع ووفاء الأهالي بعناوين مختلفة، فنقرأ العنوان التالي في "البرقية الجزائرية": "إعلان عن وفاء وخضوع سكان القبائل الكبرى"، بينما نجد أن المحتوى يتمثل في مراسلة لعمال الجزائر، تضمنت برقية لأعيان منتخب دائرة تيزي وزو نددوا بالأحداث". والأمثلة عن ذلك التضليل كثيرة ففي 16 ماي 1945 كتبت "برقية قسنطينة": "منتفضي قسنطينة أعلنوا خضوعهم، وطلبوا العفو عن أعمالهم، فالعنوان فيه تعميم في غير محله، بحيث تظاهرة الإخضاع لم تمس إلا بعض سكان خراطة وتيزي نيبشار، كما أن أحداث الانتفاضة استمرت، إلى تواريخ لاحقة، ويُذكر أنه حتى عشية اليوم الذي تلقى فيه العقيد "بورديلة"، المعالم الأولى لخضوع سكان تيزي نيبشار وخراطة، تم إيقافه وهو عائد إلى سطيف، من قبل مجموعة من المنتفضين، واضطر لطلب إمداده بمدركات للتخلص منها، وحينها قال: "إن الهدوء ليس إلا ظاهراً واستمرت الانتفاضة في بعض المناطق مثل "شوفريل" إلى 25 جوان 1945"⁽¹¹⁾.

- و في 16 ماي 1945 صرحت الصحف أنه تم إعلان خضوع 6000 شخص من خراطة، و 4500 آخر من تيزي نيبشار بحضور العقيد "بورديلة"، لكن برقية "لهنري" تحمل نفس التاريخ، ذكرت أن عدد المنتفضين الذين تم إخضاعهم، في القبائل الصغرى وقبائل البابور، لا يقل عن 30000 منتفض، إلى جانب 3000 آخر في قالة، وأنه ينتظر إعلان العديد من الثوار عن خضوعهم⁽¹²⁾.

تجاهل القمع والضحايا الجزائريين:

أسهبت الصحف الاستعمارية في عرض فصول الانتفاضة، والكيفية التي قتل بها الأوروبيون، وبعدها صورت مظاهرات الإخضاع، وهذا رغم أن أحداث الانتفاضة لم تدم إلا ساعات قليلة⁽¹³⁾، وبعدها بدأت فصول القمع التي امتدت لأسابيع طويلة. وكان أول من كتب في مسألة القمع "شارل أندري جوليان" في صحيفة (**Le populaire**)، وذلك في نهاية ماي 1945، وبعدها أخذت الصحافة الشيوعية تندد بقسوة القمع وتدعو لحل المليشيات وإيقاف محاكم الاعدام... ومع ذلك شنت الصحف الاستعمارية حملة ضد الشيوعيين، معتبرة مواقفهم الداعية للتهدة ومعاقبة المسؤولين عن القمع، تشجع الجزائريين على الاستمرار في الانتفاضة.

ونشير إلى أن سكوت الصحف الإستعمارية عن القمع من جهة، ودعوتها لتبنيه بأقصى أشكاله من جهة أخرى، يعبر عن مساندتها لذلك الإجراء الوحشي، وأنها تتحمل جزء من مسؤولية ارتكاب تلك الجرائم، وحجب حقائقها عن العامة، وتحريضها على قتل الجزائريين بشكل كبير.

ولم تتعرض الصحف الاستعمارية لعمل المليشيات إلا بالإشادة بالقائمين عليها، متجاهلة عدد الضحايا التي خلفتها، والمقدرين حسب ريمون آرون بأكثر من سبعة آلاف. ونتيجة أسلوب التحريف والتزييف الذي اعتمدته الصحف الإستعمارية في التعرض للانتفاضة، تم حجب حقيقة مجازر 8 ماي على الرأي العام، وظل حقيقة حمام الدم الذي غرق فيه 45000 جزائري مجهول لمدة طويلة.

4) القيم التي دعت إليها الصحافة الاستعمارية:

حاولت الصحف الاستعمارية من خلال أسلوب تناوّلها للأحداث، تمرير عدة رسائل صحفية وغرسها في الرأي العام والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ) الدفاع عن السيادة الفرنسية:

إن هيئة فرنسا على حد تعبير صحيفة لوموند (24 ماي 45) اتهارت اثر الهزيمة السريعة أمام ألمانيا وانزال الحلفاء ، الأمر الذي سمح للأهالي إن يقارنوا بين قوة حلفائنا وضعفنا، أما استقلال سورية ولبنان، فجعلهم ينظرون أكثر إلى القاهرة (مقر الجامعة العربية)، ويجب حسب ذات الصحيفة، أن نؤكد للعالم على قدرتنا، لتجسيد إرادة ديغول في استعادة عظمة فرنسا. دعت ذات الصحيفة في (10 جويلية 1945)، لضرورة تكوين سلطة قوية على رأس الإدارة الجزائرية، ذلك أننا منذ أمد بعيد فقدنا واحد مثل " ليوتي " ، الذي ينبغي أن نستخلص منه الدروس.

• وكتبت أسبوعية "الجمهورية الرابعة" (*Quatrième république*)، 03 جوان 1945. قائلة: "هيا لنعبر عن إرادة فرنسا، بعدم قبول المساس بسيادتها في الجزائر، وبذلك سنعبّر عن فكر الجنرال ديغول، لا أحد يشجع الانتفاضة، لا المعمرون ولا غيرهم، لا أحد يقتنع بانتهاج الطرق الميكافلية".

وبنفس الصيغة دعت "صدى قالمة" بتاريخ 1945/06/09، لما أسمته بيعت سلطة الإدارة الجزائرية التي ينبغي لنا أن نعيد لها تأثيرها، الذي كانت تتمتع به، بدل ما تسجله من فقدان يومي ومتزايد لهذه السلطة. وذلك ما يمثل دعوة صريحة للعودة للأحكام الزجرية والتشريعات العنصرية لقانون الأندجينا التي نصت أمرية ديغول على إلغائها .

وإقمت الأوساط الاستعمارية " شاطينيو" بالتساهل مع الحركة الوطنية، و مسألة رواج دعاية البيان، فعريضة البيان حسبها صدرت بفعل ضعف كبار الموظفين، وبينما ساعد ضعف التموين في رواج هذه الدعاية. ويفهم من ذلك أنه على الإدارة الاستعمارية، أن لا تسمح بأدنى الحريات السياسية لمصلحة الجزائريين، لأن العرب حسب " أبو" (Abou) كلما حصلوا على حق طالبوا بآخر .

تمجيد الضحايا الأوربيين وتجاهل الضحايا الجزائريين:

استخدمت الصحف الاستعمارية أساليب عاطفية، معبرة عن معاني الحزن والأسى على الضحايا الأوربيين، فوصفت الصحف المواقب الجنازية للضحايا الأوربيين بأسلوب عاطفي حزين فنقرأ في "السطايفي الصغير" بتاريخ 31/ 05 / 45 المدينة بكاملها عاشت

موكب جنائزي رهيب (29 ضحية)، وبلغ الأثر للضحايا الأبرياء ففي مساء 09 ماي وضعت الجثث في قاعة الحفلات، التي تحولت إلى قاعة الموتى ... كل السكان الأوربيين تعاطفوا، وانحنوا أمام الشهداء ... في الصبيحة (10 ماي)، سكان وأسر وأولياء جاؤوا بأعداد كبيرة للبكاء على مجازر مفقوديههم... من المؤلم أن يكون يوم النصر بالنسبة لمدينتنا، يوم حزن وحداد وأحداث مأساوية، إنها إشارة مستقبلية ويا حسرتاه! العديد من الفرنسيين دفعوا من دمائهم".

ورغم أن الصحف الاستعمارية ضبطت الضحايا الأوربيين بالأسماء وبينت الأساليب التي قتلوا بها، إلا أنها لم تهتم بالضحايا الجزائريين، وذلك يعني بكل بساطة بالنسبة للإستعماريين أن أرواح الضحايا المعمرين جديرة بالتمجيد، وأن الجزائريين ليس لهم أي مجال للذكر في التغطية الاعلامية للصحافة الاستعمارية، مثلما لم يجدوا حتى المقابر ليقبروا فيها، و كانوا فرائس للكلاب والقطط الجائعة، وفيما ألقى بالعديد منهم في قالة في الأفران الحارة لهليوبوليس، وآخرون ألقى بهم في جبال ومنعرجات خراطة الى أسفل الوادي، ومع ذلك فالجزائريون لا إعتبار لهم ولا يهم عدد ضحاياهم إن كان كبيراً أو قليلاً.

وإكتفت بنشر تصريح " تكسييه " الذي قدم رقم 500 ضحية، واعتبرت " المساواة " صحيفة " فرحات عباس "، تصريحات " تكسييه " أنها تحمل الكثير من الأكاذيب وجحد الحقائق، فأكدت أن الرقم الذي اعتبره مبالغ فيه وهو 35000 قتيل مسلم، هو الأقرب إلى الحقيقة، فحسب تحقيق معمق، قام به حزب أحباب البيان، فان الآلاف من المنتخبين في المكتب الثاني (الأهالي)، ظللت الإدارة جرميتها بشأنهم، باعتبار أصواتهم تمثل غيابات إرادية، وهم في الحقيقة ضحايا مجزرة 8 ماي، كانوا لا يزالون مسجلين في القوائم الانتخابية، وحسب الصحفي اليميني "بول ربو" (Paul Reboux) فان 12000 مسلم قتلوا، ورموا في وادي سيوس المار قرب قالة⁽¹⁴⁾.

أما صحيفة العالم فإنها نشرت أرقام " تكسييه "، ولكن عند إندلاع الثورة التحريرية (1954 11 2) نشرت شهادة " إدموند ساباتييه " (E.Sabatier)، و الذي كان مجنّداً في الليف الأجنبي أيام الإنتفاضة فقدم رقم 12000 ضحية.

أما صحيفة " النيويورك تايمز " الأمريكية فذكرت أن عدد الضحايا الجزائريين بلغ حوالي 30000 جزائري، ونفس الرقم قدمته صحيفة " الشرق الوسط الأمريكية " (The Middle east journal)، في سنة 1948، والأستاذ " روني غاليسو " (René GALLISSOT)⁽¹⁵⁾ ذكر أن " ج.ل. بلانش " (Jean Louis PLANCHET) اعتمداً على الأرشيف، بيّن أن عدد الضحايا يفوق 38000 ضحية. ولكن وحتى إن كان عدد الضحايا الجزائريين 10000 فإن كل ضحية أوروبية تقابلها 100 ضحية من الجزائريين، و حسب " عبد الحميد مهري " مهما كان عدد الضحايا الجزائريين، ومهما حاولت الاوساط الاستعمارية التقليل منهم، فإن ذلك لا ينقص من حجم الجريمة.

الدفاع عن المسؤولين الاستعماريين المشرفين على مجازر القمع:

حاولت الصحف تبييض صورة أعوان الادارة الاستعمارية المدنيين والعسكريين، نظراً لتدخلهم العنيف في وجه المنتفضين، وللقمع القاسي والأعمى الذي مارسوه في حق الجزائريين، فحسب " بول كيطلوي " يعود الفضل في استعادة الأمن في 13 ماي 1945، إلى سلطة وروح القرار، التي تتمتع بها " لسترا د كاربونيل " والتدخل الحاسم للجنرال " دوفال "، قائد الفرع العسكري لقسنطينة، فإليهم يعود الفضل في تهدئة المناطق المضطربة، بحيث قام قائد الجيش بتسليح المتطوعين (الميلشيات)، الذين لعبوا دوراً كبيراً في الوقوف في وجه المنتفضين⁽¹⁶⁾.

وإذا كانت مختلف القرائن تقرر على أن " أشياري " إقترب مجزرة تظهر مجازر النازية أمامها شيئاً قليلاً، إلا أنه عند الصحف الاستعمارية يعد بطلاً يثنى عليه، فنقرأ في صدى ومستقبل قالمه (26 ماي 1945): " لجنة اليقظة شكرت السلطات المحلية، وبشكل خاص: السيد رئيس الدائرة " أشياري "، على شجاعته بحيث قام بوضع حد للكارثة،

وأُنقذ مدينة قالة... السادة " غارفي " رئيس جمعية فرنسا المحاربة، والسيد " موبير " رئيس بلدية قالة، استخلصا الدروس من هذه الأحداث الدموية، وحيا السيد رئيس الدائرة " أشياري "، على شجاعته في اتخاذ القرار، ضد الثوار. واستدرجت قائلة: " المأساة انتهت لنحبي السيد " أشياري " ثم " موبير "، على مواقفهم وحمائيتهم للسكان الأوربيين، وإفشالهم لمختلف محاولات الثوار في المدينة ... كما توجه تحيتنا، إلى العقيد المتصرف في المنطقة...". وفي شهر جوان 1945 وجّه سكان قالة برقية للجنرال ديغول يدافعون فيها على " أشياري ": " سكان قالة الأوربيين وناحيتها ... يوجهون تحيتهم واعترافهم، إلى رئيس دائرتهم الحبوب " أشياري "، لدمه البارد وفعاليته... ويعبرون عن تعلقهم به حتى يبقى في منصبه لأطول مدة ممكنة".

وذلك ما يعبر على أن " أشياري " في الحقيقة لم يكن سوى مثالا بالنسبة للمجتمع الاستعماري، الذي كان في حقيقته كله أشياري. فالذي يؤيد الجريمة لا يختلف عن الذي يرتكبها. ووجه المعمرون عدة نداءات وبيانات من خلال الصحف، يدافعون فيها عن مسؤوليهم، ولم يكن ممكناً " لأشياري " أن يرتكب تلكم المجزرة، لو لم يجد إلى جانبه فلول من المعمرين، الجندين في صفوف المليشيات التي تشكلت من عناصر معمرة يمينية ويسارية.

كما نوهت صحيفة "السطايفي الصغير" على لسان سكان منطقة خراطة (الأوربيين)، و "بيروفوفيل"، بدور العقيد " بورديلة " في استعادة الأمن، وقمع حركة الانتفاضة؛ "انه من الواضح -حسبها- بأن السكان الذين كانوا في "بروفوفيل" (عين كبيرة)، لم يتم إنقاذهم إلا بفضل المبادرة العفوية للعقيد "بورديلة" قائد فرقة سطيف...الجنرال "دوفال" تحمّل مسؤوليات ثقيلة، في تلك الأوضاع الحرجة، حيث كانت الجزائر تعيش في النار والدم⁽¹⁷⁾

إن تصوير القائمين على القمع كأبطال، يجعلهم يمثلون المثل الأعلى، الذي يجب الاقتداء به بالنسبة للرأي العام الاستعماري الذي توجه له المادة الاعلامية. لذلك لا نستغرب أن "

أشباري" بدل أن يحال على محاكم الجمهورية، مثلما كانت تطالب صحيفة المساواة، تمت ترقية منصبه الإداري، ونفس الشيء تم بالنسبة "لليسترد كاربونيل" والي قسنطينة⁽¹⁸⁾.
 وتمكن المعمرون من الحيلولة دون استكمال لجنة "توبير" لتحقيقها، وتأسف "الابراهيمى" في "البصائر" قائلاً تحت عنوان "حدثونا عن العدل فقد نسيناه":
 "وقعت حوادث 8 ماي المروعة، فأعلنت فرنسا ثقتها بالمديرين لها، ورضاهما بما يصنعون، واهتزت الدنيا لهولها ولم تهتز فرنسا إلا هزة الاعجاب ببطولة الهاتكين للاعراض الطاهرة... وتعالى الأصوات تطالب من فرنسا بإرسال لجنة برلمانية للتحقيق الذي لا يرد فائتاً، ولا يخيى مائتاً ولكنهم كانوا ينادون صخرة صماء"⁽¹⁹⁾.

التخوف من المستقبل:

هزت انتفاضة الثامن ماي 1945 أركان الكيان الاستعماري من الأساس، وأثارت مخاوف المجتمع الاستعماري، فذكر مراسل آخر المستحجات بتاريخ 1945/06/05: "الأوروبيون متخوفون في شوفريل، ففي تلك القرية المتواضعة المنهوبة والمحروقة بشكل كامل، لم يبق منها إلا الجسور والأسوار المحروقة، والتي عادت إليها اللقالق لتشيّد أعشاشها. قال لي أحد المعمرين: "علينا أن نعيد بناء مرافقنا وبيوتنا، كما تفعل اللقالق، ومع ذلك لا نريد أن نكون طيوراً مهاجرة مثلها". فهذا التصريح يعبر على أن المعمرين أدركوا حقيقة الرسالة التي حملتها الانتفاضة.

ودعت الاوساط الاستعمارية للانتقام للضحايا الاوربيين، والحفاظ على السيادة الفرنسية بالجزائر بكل الوسائل، فذكر "بواسين" (Boiscin) رئيس بلدية جيجل في الكلمة التأبينية لدفن أربع ضحايا من دائرته، "إن سقوط هؤلاء الأموات، يملي علينا في المستقبل، وفي كل ذكرى لتضحياتهم الغالية، أن لا نتسامح مع منظمي هذه المأساة، ذلك لأنهم إذا لم تتم معاقبتهم، فمن الممكن أن ينشطوا لتحضير مأساة أخرى، مع حظوظ نجاح أكبر، لا بد من الانتقام لموتانا، لا بد أن ننتقم لهم بأحسن الوسائل. أقسم بأننا سنبدل

كامل جهودنا، ومن كل أعماق قلوبنا وبكامل أنفسنا، حتى تبقى هذه البلاد، التي سقيت بالدماء، وإلى الأبد بلادا فرنسية⁽²⁰⁾.

ولضمان إستمرار الاستعمار في الجزائر وعدم تجدد الانتفاضة، ألح "بول كيظولي" على ضرورة تعزيز مراكز الدرك وتطويرها، وإنشاء مراكز عسكرية مزودة بعتاد حربي آلي، يسمح لها القيام بدوريات في المزارع البعيدة، ودعا إلى إلغاء القانون الذي يسمح للمسلمين بامتلاك الأسلحة (بنادق الصيد)، وإلى سحب الأسلحة الموجودة بحوزتهم، كما يجب على الإدارة، أن تمنع توزيع المنشورات التحريضية⁽²¹⁾.

واعتبرت بعض الأوساط الفرنسية، الدعوة العمياء لممارسة القمع، لا تساهم سوى في تعقيد المشكلة أكثر، فاعتبر "ألير كامبي" الأحداث أنها عمل لأصحاب المصالح، وأن هدفها دفع الحكومة للقيام بإجراءات قمعية، ليس فقط غير إنسانية ولكن أيضا غير سياسية، للاستمرار في توسيع الخندق، الذي يفصل منذ سنوات، بين المتروبول والمناطق الإفريقية، وعلى الصحفيين الفرنسيين، أن يتصوروا أنه لن يتم حل مشكل خطير بנדاءات غير مبالية لانتهاج قمع أعمى⁽²²⁾.

خلاصة عامة

يبدو أن أحسن وصف لأسلوب تناول الصحف الاستعمارية لانتفاضة 8 ماي 1945، تعليق الجنرال "توبير" أمام الجمعية في 10 جويلية 1945: " هذه الصحف لم تهتم بالأحداث وكانت بعيدة عن الواقع، فقدمت أفكارا غير كاملة وغير دقيقة، من خلال الروح التي تحركها وتحرك الصحفي، والاستنتاجات التي تسير نظرتة"⁽²³⁾.

ولم تقم الصحافة الاستعمارية في عرضها لأحداث الانتفاضة بدور الناقل الموضوعي للأحداث إلى القارئ، بل لعبت دورا دعائيا ضد الانتفاضة ورموزها. وأصبحت بوقاً لبث الدعاية المغرضة والمسمومة.

فقد قامت بممارسة التعقيم الإعلامي بإبراز أحداث الانتفاضة، وتجاهل القمع، وتصوير الجزائريين بقيم سلبية، والمعمرين بقيم إيجابية.

تركيز مجمل اهتمامها على الضحايا الأوروبيين، وتجاهلها للضحايا الجزائريين، الذين فاق عددهم أضعاف عدد الضحايا الأوروبيين.

دعوتها لممارسة القمع، ونشر مواقف المندوبيات المالية، ومختلف الشخصيات والجمعيات، الداعية لممارسة القمع بإنشاء المليشيات ومحاكم الإعدام، وإعلان حالة الحصار. و من جهة أخرى عدم تعرضها لمواقف الجزائريين باستثناء "بني وي وي".

تصوير القائمين على القمع بأنهم أبطال أدوا واجباتهم بكل تفاني، والإشادة بالمليشيات، ودور المشرفين عليها في التصدي للجزائريين، يمثل دعوة للسير على نهج التقتيل وبشكل عشوائي، مما أدى إلى مجازر في حق الجزائريين. وبالتالي تتحمل الصحف الاستعمارية نصيبا من مسؤولية تلك المجازر.

عدم تعرضها لعمل المليشيات التي حسب الصحف الشيوعية أدخلت الجزائر في حرب أهلية بين المسلمين والأوروبيين، مما كرس غرس الأحقاد والضغائن لدى الجانبين. وبالتالي زادت الأحداث من جهة، وأسلوب تناولها من قبل الصحافة الاستعمارية من جهة أخرى، في اتساع الهوة الفاصلة بين المجموعتين الجزائرية والمعمرة، مما أدى -حسب ألبير كامي- إلى حفر خندق يفصل بين المجموعتين.

ومن جهة أخرى حاولت الصحف الوطنية استغلال الأحداث لخدمة القضية الوطنية، بتقديم صيغة طرح وطنية مناقضة للصيغة التي قدمتها الصحافة الاستعمارية. وخلاصة القول أن تمجيد الاستعمار اليوم من قبل أذنابه، لا يمثل في الحقيقة إلا استمرارية للمسار السابق لمواقف منظري الاستعمار، والداعين لممارسته. وأن إنكار حقائق التجاوزات الاستعمارية في حق الشعوب المستعمرة، ليس بالجديد بل يمثل الطابع العام للكتابات الفرنسية حول المسائل الجزائرية منذ حادثة المروحة، بل إن جذوره سابقة لذلك.

وانتقدت الصحف الوطنية والشيوعية بحدّة أسلوب تناول الصحف الاستعمارية للأحداث، بحيث علق "شارل أندري جوليان" في صحيفة "الشعبي" منتقداً صحافة المعمرين قائلاً: "الصحافة الكبرى في الجزائر، تلك الصحافة الفاسدة المتعاونة (مع ألمانيا)، تتمنى أن يفرض نظام الحديد و النار على الأهالي"⁽²⁴⁾.

أما صحيفة "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" "الجزائر الحرة"، فعَلّقت على الدور السلبي للصحف الاستعمارية محذرة: "الصحف الاستعمارية في إطار خدمتها لقضيتها الفاسدة (الاستعمار) دعت بصراحة للقتل، بحيث لم تتوقف عن بث سمومها الحاقدة، لهدف واحد و هو إحداث تصادم بين المجموعتين السكائيتين، و توسيع الخندق الذي يفصل بينهما، فهدف كل تلك الحملة الإعلامية، تبرير المجازر الجماعية المستقبلية مثل تلك التي سجلت في 8 ماي 1945"⁽²⁵⁾.

لكن كيف نحكم على الوثائق الصحفية الاستعمارية؟

مهما كانت صيغة طرح أي طرف، ومهما كانت الأفكار التي يعرضها والاتجاه الذي يمثلها، لا يجب إقصاؤها (فقد يقول المناق كلفة حق). أليس دور المؤرخ حسب ابن خلدون هو ممارسة النقد بمختلف أشكاله ومعانيه؟

لذلك أمام نقص المصادر التوثيقية يجب استغلال تلك المتوفرة، بمنهج القاضي الذي يتحرى الحقيقة، لإعادة بناء التاريخ الوطني بمنهج علمي.

ولكم مني الشكر الجزيل على حسن الاصغاء والمتابعة، وعلى كل ملاحظة يمكنكم تقديمها. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش البليوغرافية:

1) كانت تحرر من قبل المعمرين الأوروبيين، مع أنها تفتح أحياناً صفحاتها لبعض الشخصيات المتجنسة، أو المتفرنسة والأعيان (بني وي وي)، مثل شريف بن حبيلس،

الطيب مرسلتي، حميدة بن باديس... موجهة إلى جمهور و قراء من المعمرين الأوربيين، ذلك لان غالبية الجزائريين كانوا يجهلون اللغة الفرنسية، و حينما تكوّنت نخبة مثقفة جزائرية كونت صحافتها الخاصة.

(2) كتبت صحيفة المعمر (Le colon) في 9 - 9 - 1876، مخاطبة الجالية الأوربية (المعمرة): "إنكم إخوان لنا، ليس فقط في الحياة المشتركة في هذه المستعمرة، التي هي لكم مثلما هي لنا، ولكن وبالخصوص بدم وأصل مجموعتنا الأوربية، وبالعادات وبكل ما يكوّن الأمم.... لتتحد اليوم لأن التقدم والحرية والمحافظة على وجودنا، كل ذلك متعلق باندماجنا الإداري...".

(3) صحيفة "النيويورك تايمز" الأمريكية، وصحيفة "النهضة التونسية" مثلاً، أعادت صياغة الأخبار التي تناقلتها عن وكالة الأخبار الفرنسية، التي تحمل الكثير من الأغاليط، والحجب المقصود للحقائق.

حول الموضوع أنظر: "مسعود كواقي، حركة ماي الثورية 1945 في الصحيفة النهضة التونسية، مجلة الرؤية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية والثورة التحريرية الكبرى.

Berkaoui MILOUD, "The New York Times and the Algerian revolution, 1956- 1962, An analysis of a major News paper's, reporting of events ", a thesis submitted for the degrees of doctor of philosophy, in the university of Keel, April 1988 .

(4) وحسب هنري أليق بعد أسابيع من 8 ماي 1945، تم اكتشاف الحقائق من قبل مبعوثين شيوعيين؛ ميشال روز، عبد القادر مولفي، وجون عمروش، الذين لاحظوا جو الرعب، السائد في سطيف وضواحيها، وحقيقة مقتل عشرات الآلاف، من الرجال والنساء، و وجود ميليشيات أوروبية، أوكلت لها شرعية، حق الحياة والموت بالنسبة للجزائريين. بحيث كانت تطلق النار على الأطفال الأهالي، المارين عبر الطرقات، واكتشفوا المحارق الإجرامية لأشباري، وفي هذا الصدد صاغ ميشال روز محرر (الجزائر الجمهورية) تقريراً، ولكنه لم يستطع نشره بفعل قوانين تقييد الصحافة".

Henry ALLEG, La grande aventure d'Alger républicain Missidor, Paris, 1987, P. 40.

5) *Dépêche de Constantine, 16 05 1945.*

(6) كان مصالي الحاج، يعارض الألمان بشدة منذ 1937، كونهم يجعلون العرب في الدرك الأسفل من ترتيب الأجناس البشرية، فهم حسب هتلر "الجنس غير النافع"، لذلك رفض بشكل كامل فحوى اتصالات راجف بلقاسم وغيره قائلا: "الألمان يريدون استعمارنا، فكيف نثق فيهم، فهتلر في كتابه "كفاحي"، وضع العرب في آخر التصنيف، وإننا إذا وافقنا على الثورة (بمساعدة ألمانيا)، فإننا سوف نسوق الشعب إلى المذبحة"، فالأمر حسبه يتعلق بتغيير الأسياد المستعمرين، وحتى أن مصالي قام بإبعاد العناصر، التي قامت بتلك المبادرة، ورفض مصالي أيضاً عروض حكومة فيشي، التي اتصلت به في 23 نوفمبر 1941 وهو في السجن، للتعاون مع الحكومة العامة، لكن مصالي رفض الاقتراح، كتعبير لرفضه التعاون مع حكومة بيتان العميلة لألمانيا، ويُذكر أن مصالي كان متيقن أن النصر سيكون حليف الحلفاء. وأمام هذه المعطيات، من هو الهتلري الحقيقي، الحركة الوطنية أم أعوان الإدارة الاستعمارية المتعاونة مع الألمان تحت حكم فيشي؟ حول الموضوع أنظر: فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحّال، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ص 166.

Mahfoud KADDACHE, histoire du nationalisme algérien, ENAL, Alger, s.d. t.II, P. 881.

(7) صرّح فرحات عباس بعد الإفراج عنه رفقة الإبراهيمي، خلال حفل أقيم بتلك المناسبة، في قاعة الأفراح لبلدية الجزائر: "ها نحن نعود للحياة لنقول بأن أيدينا نقية، من كل دم إنساني، لم نرتكب جرائم، لم نوجه بعض السكان ضد الآخرين (المسلمين ضد الأوروبيين)، فقط نحارب النظام الاستعماري، لسنا خونة، لا يوجد جنس ضد جنس آخر، هناك ديمقراطيون يريدون العيش في ظل الديمقراطية والأخوة، ويوجد بعض الإقطاعيين، الذين يريدون أن يجعلوا جزءاً من

السكان عبيداً، إن استخلصنا الدرس من الأحداث، سننجح وسنقيم هنا بلداً مشتركاً، في مستوى صورة فرنسا".

Dépêche de Constantine, 20 04 1946.

8) Dépêche de Constantine, 11 07 1945.

9) Humanité, 11 07 1945.

10) Dépêche algérienne, 10 05 1945.

11) Claude PAILLAT, Vingt ans qui déchirent la France coloniale, T.I, Robért Laffon, ParisIV, 1969, PP. 45.

12) Jean Charles JAUFRET, La guerre d'Algerie par documents, l'avertissement 1943-1946, services historiques de l'armée de terre Vincenne, 1990, P.190

13) انطلقت المظاهرات في سطيف على الساعة التاسعة صباحاً، وبعدما تحولت الى أعمال شغب (émeute)، تدخلت قوات الشرطة والجيش بسرعة وقوة، فاستعادت الأمن في حوالي الساعة 11سا، وبعدها بدأت حملات القمع بحيث فرض على المسلمين الحصار، ومنع عليهم التنقل في المدينة دون تعليق شارة تقدم من قبل البلدية، والا فإن الشرطة والملشيات تطلق عليهم النار. أما في خراطة فالانتفاضة بدأت منذ فجر 9 ماي واستمرت الى غاية منتصف النهار، حينما وصلت مدرعات وقوات قادمة من الفرع العسكري لسطيف، والتي فرقت المتفضين الذي فروا الى التلال والجبال المجاورة ، وبعدها بدأت عمليات التقتيل باستخدام مختلف القوات المدفعية والطيران وحتى القوات البحرية، ورافق ذلك عمليات تمشيط للمناطق المتفضة (جبال البابور تاكوشت بوعنداس)، وامتد القمع الى بداية جوان 1945، وكان عنيفاً بشهادة الاستعماريين أنفسهم.

14) Egalité, 09 09 1947.

15) من المداخله التي قدمها في ملتقى الثامن ماي المنظم من قبل جامعة قلمة، في 7 ماي 2007.

16) Dépêche de l'est, 03 04 06 1945

17) Petit Sétfién, 31 06 1945

18) تأسفت الصحف الوطنية عن دور العدالة الفرنسية، وكيف أنها تكيل بمكيالين في تعاملها مع أطراف الانتفاضة، والمتسببين في مأساتها، فصرحت المساواة مدينة الإدارة

الاستعمارية: "الشعور يحبس الأنفاس، حينما نفكر في الوضع المأساوي لهؤلاء المعتقلين الأبرياء لجرائم لتسترد كاربونيل، الذي عيّن مستشاراً للحكومة وهو الآن يصوت على بيانات تحرّض على الحرب الأهلية، مثلما فجر الحرب منذ سنتين، في عمالة قسنطينة، السفّاح أشياري الذي قتل المئات، من المسلمين في قالة، نراه اليوم نائب مدير تمويل الجزائر بأسرها"

Egalité , 31 07 1947

(19) البصائر 22 05 1950.

20) *Dépêche Constantine, 26 05 1945*

21) *Dépêche de Constantine ; 7 juin 1945.*

22) Albert CAMMUS, *Chronique Algériennes Actuelle, 1939-1958, , Paris VII 20° édition, 1958. P P. 93-98.*

23) Paul TUBERT, *l'Algérie vivra heureuse ? intervention a l'assemblée 10 juillet 1945, édition Chihab, Alger, 1946, P.7.*

24) *Voir le populaire, 30 06 1945.*

25) *Algérie Libre, 02 04 1950.*